مجلة "رجال" الصادرة في الخليج عدد تموز ٢٠١٠

المشاركة أساس الحب الواعي

يقال: «المرأة تكمّل الرجل..»، «الحاجة الى الآخر من سنن الحياة»، «العائلة هدف التقاء المرأة بالرجل»... أمثلة نسمعها كل يوم وفي معرض أي نقاش، وخصوصاً عند أي حدث يرغمنا على البحث عن وسائل جديدة للتواصل مع الشريك. لكن إذا ما تمعّنّا جيداً، في هذه العبارات نجدها تتمحور حول أمر واحد ألا وهو «المشاركة»، كلمة السر وأساس التلاقي والالتقاء. وقد تتسمّ المشاركة في عصرنا الحالي بوجه مادي في معظم الأحيان، إذ نجد المشاركة بين الرجل والمرأة تتمثّل بفتح حساب مصرفي مشترك أو اختيار منزل المستقبل. وفي هذه الحالة تكون المشاركة مجرد درس في علم الاقتصاد ونظرة فنية في علم الهندسة.

نجيب زيتوني

لكن لو كانت المشاركة الحقّة هي مشاركة مادية لكانت الأكثرية الساحقة من البشر تنعم بحياة عاطفية عائلية ومهنية مثالية تنتفي فيها شتى أنواع المشاكل بين الشريكين، وهذا نقيض لما نعيشه على أرض الواقع،... فهل للمشاركة معانٍ أعمق مما هو ظاهر ومبان؟

للإجابة عن هذ التساؤل، لا بد من العودة الى علوم إنسانية الإنسان- علوم الإيزوتيريك، إذ إنها تدرس كل ما يتعلّق بالإنسان من محور أساس هو الانسان نفسه. وهذه العلوم المعرفية التطبيقية بإمتياز يوضحها كتاب «المرأة والرجل في مفهوم الايزوتيريك» فعلاقة المرأة بالرجل هي «علاقة نقصان يبحث عن كماله...» وانطلاقاً من هذه العلاقة- المعادلة، ينبغي على المرء البحث عن النقصان الذي في داخله كفرد. وبذلك يكون قد سلّط الضوء على سلبياته قبل إيجابياته، فيسعى الى اكتساب الصفات الإيجابية التي تنقصه والتي يكملها الشريك- الحبيب

الانجذاب الفطري

وهذا ما يفسّر أيضاً الحقيقة الخافية وراء الانجذاب الفطري أو اللاواعي بين المرأة والرجل، ويوضح، «الموزاييك» أو التكامل الذي يحدث بينهما، إذ إن الرجل بوجه عام يتميّز بإرادة وحزم وجرأة في اتخاذ القرارات وهذه الصفات قد تنتهي الى جفاف في الفكر وقسوة في المعاملة ما لم تطعّم بميزات المرأة من مشاعر دافئة وشفافية ومحبة منفتحة.

والعكس صحيح، إذ إن كل ما تتميّز به المرأة من مشاعر حساسة مرهفة قد يؤول الى ضعف وهوان وفوضى ما لم يلتق بفكر متقد وإرادة فاعلة. فالرجل ينجذب الى رقّة المرأة ولو لاشعورياً، ثم ما يلبث أن يكتسب هذه الصفة رويداً رويداً من خلال مشاركتها في تفاصيل الحياة اليومية، فتنعكس في تعاطيه مع الآخرين، والعكس صحيح في حالة المرأة أيضاً.

من ناحية أخرى، لنعتبر الشريكين بعيدين عن أهمية البحث والإنفتاح عما ينقص أحدهما في الآخر، فكيف ستكون هذه العلاقة؟

لعلّ المثال التالي يعكس الصورة الواقعية حين يغيب هدف العلاقة. لنعتبر أن أحد الشريكين يتمتّع بسلبية التفرّد بالرأي أو العناد، ولنعتبر أيضاً أن الشريك الآخر لا يعير احتواء هذه السلبية الاهتمام، أي مساعدة الشريك للتخلّص منها. فالذي قد يحدث هو غياب الحوار الواعي بينهما، وعدم الاستماع الى

رأي الآخر (والذي قد يتضمّن حلاً لمشكلة ما)، لذا فإنّ عدم التمكّن من الوصول الى حلول ترضي الطرفين يفاقم الكبت والمشاكل عند الشريك الآخر، فتنعدم بالتالي كل أسس المشاركة الفعلية بين الشريكين.

تناغم وتوازن

من هنا يتضح مفهوم المشاركة، لا بل يعود ليأخذ مكانته الحقيقية. فالرجل والمرأة هما من ثنائيات الحياة مهمتهما التناغم في ما بينهما لتحقيق توازن شفاف نحو وعي جديد وتوازن يرتكز على المشاركة الفكرية والحسيّة الى جانب المشاركة المادية.

إن ما ينبغي البحث عنه هو ما ينقصنا من صفات داخلية باطنية. ولعلّ معظم المشاكل التي يواجهها الشريكان من ألم وصراع وتناحر وتباعد يجسّد فشل المرء في فهم نفسه وتصرفاته الخاطئة والنقصان الكامن داخله، والأهم الاعتراف بهذا النقصان كي يسعى بصدق الى تعبئته بمساعدة الشريك- الحبيب.

تلك هي المشاركة الحقة، مشاركة إنسان لإنسان في مكوّناته على طريق التكامل. فعندما يبدأ المرء بتطبيق هذه المشاركة عملياً في الحياة اليومية يتحقّق التناغم والانسجام مع الشريك، فتصبح عند ذلك المساواة من بديهيات الأمور بينهما ويغدو الحب واعياً راسخاً وعميقاً... ويرنو الفكر منفتحاً تواقاً للتكامل مع الآخر نحو الهدف المشترك.